

ان الوسط الحقيقي الذي يعيش فيه القول ويتشكل هو التنوع الكلامي المكتسبُ صفة الحوارية ، الغفلُ والاجتماعي بوصفه لغة ، لكنه الممتلئ مضموناً والمنسبُ بوصفه قولاً فردياً .

ففي الوقت الذي كانت فيه الأجناس الشعرية بأنواعها الرئيسية تتطور في مجرى القوى الموحدة والمركزة ، القوى الجابذة في حياة الكلمة الإيديولوجية ، كانت الرواية والأجناس النثرية الفنية الأخرى المتصلة بها تتشكل ، تاريخياً ، في مجرى قوى اللامركزة ، قوى النبذ . وفيما كان الشعر في الأوساط الاجتماعية الإيديولوجية الرسمية العليا يتصلب لحلّ مهمة مركزية عالم الكلمة الإيديولوجية ثقافياً وقومياً وسياسياً ، كانت تتردد في الأوساط الدنيا ، على خشبات المسارح في مواسم المعارض والاحتفالات الشعبية ، أصوات المهرجين في تنوع كلامهم وفي محادثهم الساخرة لكل اللغات واللهجات ، وكان ينمو أدب الفابليو والشفانك(*) ، أدب أغاني الشارع والأمثال والنكات حيث لم يكن هناك وجود لأي مركز لغوي وحيث كان يجري اللعب الحلي « بلغات » الشعراء والعلماء والرهبان والفرسان ، هناك حيث كانت « اللغات » كلها أقنعة ، ولم يكن وجود لأي وجه لغوي حقيقي وأكيد .

هذا التنوع الكلامي المنظم في هذه الأجناس الدنيا لم يكن مجرد تنوع كلامي بالنسبة إلى اللغة الأدبية المعترف بها (في كل أجناسها) ، أي بالنسبة إلى المركز اللغوي للحياة الكلمية الإيديولوجية للأمة وللعصر ،

* الفابليو قصة شعرية تحمل في أكثر الأحيان طابعا معاديا للإقطاع ورجال الدين وتمتاز بفضيحة فكاهيتها ، ازدهرت في فرنسا بين القرنين ١٢ - ١٤ . والشفانك هو المقابل الألماني للفابليو الفرنسي .